كيف قامت (إسرائيل) بخداع الولايات المتحدة وتطوير القنبلة النووية* تكشف الوثائق التي تم رفع السرية عنها حديثاً كيف عملت (إسرائيل)** تحت أعين المفتشين الأمريكيين.

بقلم: أفنر كوهين/ أُستاذ في دراسات عدم الانتشار والإرهاب في معهد مونتيري للدراسات الدولية في كاليفورنيا/ ووليام بير

ترجمة: صفا مهدي عسكر/ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية
تحرير: د. عمار الشاهين/ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

19 شباط 2025

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــــوز نشـــــر أي من هذه الابحـــــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

تعد الأنشطة النووية الإيرانية من المواضيع المتكررة في عناوين الصحف منذ سنوات على الرغم من أنه لا يزال من غير الواضح إلى أي مدى اقتربت طهران من تطوير قنبلتها النووية الأولى، ويعكس فشل إيران النسبي في الحفاظ على سرية طموحاتها النووية تباينًا واضحًا مع تجربة (إسرائيل) التي تعد أول دولة في (الشرق الأوسط) تمتلك الأسلحة النووية، ففي عقد الستينيات أنشأت (إسرائيل) القنبلة النووية في سرية شبه تامة بل وخدعت الحكومة الأمريكية بشأن أهدافها وأنشطتها.

لقد بدأ ديفيد بن-غوريون أول رئيس وزراء (لإسرائيل) المشروع النووي (الإسرائيلي) في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، حيث أسس المجمع النووي في ديمونا في وقت كانت فيه ثلاث دول فقط تمتلك الأسلحة النووية، وبعد عقد من الزمن وفي عشية حرب الأيام الستة عام 1967، تمكنت (إسرائيل) سراً من تجميع أولى قنابلها النووية.

على الرغم من المعارضة الشديدة من الولايات المتحدة بقيادة الرئيس جون ف. كينيدي كان القادة (الإسرائيليون) مصممين على الوصول إلى أهدافهم النووية، فقد اعتبروا المشروع النووي بمثابة التزام لضمان أمن ومستقبل (إسرائيل) وتعهدًا بـ "ألا يتكرر ما حدث" وهو تعهد مستوحى من ذاكرة المحرقة، كانت الجرأة والمراوغة والخداع من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تنفيذ المشروع النووي (الإسرائيلي) بشكل مستمر.

* Avner Cohen and William Burr, How Israel Deceived the U.S. and Built the Bomb, FOREIGN POLICY, February 7, 2025.

** لمقتضيات الأمانة العلمية، وضرورات الترجمة الدقيقة، تم الإبقاء على كلمة (إسرائيل)، وهو لا يعني اعتراف المركز بها، وما هو مكتوب يمثل راي وأفكار المؤلف

وفي الشهر الماضي نشر أرشيف الأمن القومي بجامعة جورج واشنطن كتاباً إلكترونياً جديداً يتضمن عشرين وثيقة متعلقة بالمشروع النووي (الإسرائيلي)، تكشف هذه الوثائق عما كان يعرفه المسؤولون الأمريكيون عن أسرار ديمونا وكيف قامت (إسرائيل) بإخفائها.

منذ البداية نظر القادة (الإسرائيليون) إلى مشروع ديمونا باعتباره سرًا ضمن سر، أول سر كان الاتفاق النووي الفرنسي-(الإسرائيلي) لعام 1957، الذي أسس المجمع النووي في ديمونا، وتم التفاوض على هذا الاتفاق بسرية تامة نظرًا لحساسيته الشديدة بالنسبة للطرفين.

أما السر الأعمق فكان يتضمن منشأة إعادة معالجة تحت الأرض مكونة من ستة طوابق والمعروفة أحيانًا بمصنع الفصل الكيميائي، الذي وفر القدرة على إنتاج البلوتونيوم من الدرجة العسكرية في سرية تامة، كان عدد قليل من الأشخاص في كلا البلدين (فرنسا وإسرائيل) على علم بهذا السر الداخلي.

إلى الآن تشير الأدلة إلى أنه عندما اكتشفت الولايات المتحدة مشروع ديمونا في أواخر عام 1960، لم تكن على دراية بالسر الأعمق وكانت المناقشات الداخلية في واشنطن تركز على تقييم طبيعة ودوافع المشروع ما إذا كان مخصصًا لإنتاج الأسلحة النووية (مثل إنتاج البلوتونيوم)، أو لاستخدامه في إنتاج الطاقة أو الأبحاث العلمية وعلى الرغم من أن بعض المسؤولين في واشنطن كانوا يشتبهون منذ البداية في أن مشروع ديمونا يهدف إلى إنتاج الأسلحة النووية، إلا أنهم لم يستطيعوا إثبات ذلك نظرًا لغياب الأدلة القاطعة. عموما لم تكن لدى الحكومة الأمريكية معرفة مفصلة بالاتفاق النووي السري بين فرنسا و(إسرائيل)، ناهيك عن التفاصيل الخاصة بمصنع إعادة معالجة البلوتونيوم الذي صُممته فرنسا، والذي يتيح فصل البلوتونيوم عن باقي المنتجات المشعة الناتجة عن وقود المفاعل المستهلك.

لقد تجسد هذا الغموض في أول تقدير استخباري خاص بالولايات المتحدة حول ديمونا والذي أصدرته وكالة الاستخبارات المركزية في 8 كانون الاول 1960، تضمن التقرير تحديدًا واقعيًا يفيد بأن "(إسرائيل) مشغولة ببناء مجمع مفاعل نووي في النقب بالقرب من بئر السبع"، ومع ذلك أشار التقرير إلى أنه "من الممكن أن تكون هناك عدة تفسيرات لوظيفة هذا المجمع بما في ذلك البحث العلمي وإنتاج البلوتونيوم وتوليد الطاقة الكهربائية النووية أو مزيج من هذه الأغراض"، واقترح بناءً على الأدلة المتاحة آنذاك أن "إنتاج البلوتونيوم للأسلحة يعد أحد الأهداف الرئيسية لهذا المشروع". من جهة أخرى كشف تقرير تم رفع السرية عنه مؤخرًا تحت عنوان "إنتاج البلوتونيوم (الإسرائيلي)"، الذي أعدته اللجنة المشتركة للاستخبارات في مجال الطاقة الذرية في 2 كانون الاول 1960، عن أن المسؤولين الأمريكيين كان لديهم معلومات أكثر تفصيلًا، وأشار التقرير إلى أن المشروع لم يقتصر على بناء مفاعل كبير بالقرب من بئر السبع فحسب بل تضمن أيضاً بناء "مصنع لفصل البلوتونيوم".

على الرغم من أن التقرير لم يوضح كيفية التوصل إلى هذا الاستنتاج الا أن ذكره لمصنع فصل البلوتونيوم يوضح أن الهدف من ديمونا لم يكن البحث العلمي بل كان موجهًا نحو تطوير الأسلحة النووية، ومن المحتمل

أن يكون هذا التقرير هو الأول أو الوحيد الذي أكد بوضوح أن المشروع الفرنسي-(الإسرائيلي) كان يتضمن منذ البداية عنصرين أساسيين لبرنامج أسلحة نووية: مفاعل لإنتاج البلوتونيوم ومنشأة لفصل البلوتونيوم.

إذا كانت الاستخبارات الأمريكية على دراية أو على الأقل تفترض أن ديمونا يتضمن قدرة على إعادة المعالجة فإن هذا الاكتشاف كان له تأثير على السياسة الأمريكية، فقد طرحت إدارة الرئيس آيزنهاور أسئلة جدية على المسؤولين (الإسرائيليين) بشأن أهداف مشروع ديمونا، ومع ذلك يظل الغموض قائمًا حول سبب عدم ظهور هذه المعرفة في التقديرات الاستخباراتية اللاحقة، إلا إذا كانت محاطة بسرية شديدة بحيث لم يكن يعرفها سوى عدد محدود من الأفراد. على مدار السنوات التالية من 1961 حتى 1967 على الأقل اعتبرت جميع التقديرات الاستخباراتية الأمريكية المتعلقة بمشروع ديمونا أن مسألة وجود مصنع فصل البلوتونيوم كانت مسألة تتطلب قرارًا جديدًا من قبل (إسرائيل)، ومع بداية الستينيات من القرن الماضي تبنت كل من وزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات المركزية الرأي القائل بأن ديمونا لا يحتوي على منشأة من هذا النوع.

وفي رد على الضغوط الأمريكية في 21 كانون الاول 1960، أكد بن-غوريون في تصريح له أمام الكنيست أن مفاعل ديمونا كان قيد البناء لكنه أصر على أنه "مفاعل بحثي... سيخدم احتياجات الصناعة والزراعة والصحة والعلوم"، وقد زادت نتائج الاستخبارات من شكوك إدارة آيزنهاور وأظهرت تصريحاتها العامة دهشتها عند اكتشاف المفاعل، وفي معرض إنكاره السعي نحو الأسلحة النووية قال بن-غوريون غاضبًا للسفير الأمريكي أوجدن ريد: "نحن لسنا تابعين لأمريكا... ولن نكون أبدًا تابعين".

أصبح تصريح بن-غوريون أساسًا لقصة تغطية استخدمتها (إسرائيل) لسنوات عند زيارة المفتشين الأمريكيين لديمونا، وفقًا للتقرير من أول زيارة في آيار 1961، قال مدير ديمونا إيمانويل (مانس) برات للعلماء الأمريكيين إن الهدف من ديمونا كان "اكتساب الخبرة في بناء منشأة نووية تجهز (إسرائيل) للطاقة النووية على المدى الطويل" بناءً على مفاعل بحثي مصمم من قبل الفرنسيين، وأوضحوا بشكل خاطئ للزوار الأمريكيين أن ديمونا كانت مشروعًا تكنولوجيًا واسعًا لتدريب العلماء (الإسرائيليين) على مختلف جوانب دورة الوقود النووي لأغراض سلمية.

لتعزيز مصداقية هذه الرواية التزمت (إسرائيل) بحملة خداع شاملة كانت تتطلب إخفاء مصنع الفصل تحت الأرض بالإضافة إلى تمويه مكونات أخرى في موقع ديمونا وذلك لتقديم صورة زائفة ولكن مقنعة عن المفاعل واستخداماته، وكانت هذه العملية معقدة من الناحيتين السياسية والتقنية، قبل وصول أي فريق أمريكي زائر كان موظفو ديمونا يقضون أسابيع من التحضير لضمان أن الخداع سيكون مقنعًا، التقارير الجديدة بشأن زيارات ديمونا تساعدنا على فهم كيفية تنفيذ هذه الحملة.

بين عامي 1961 و1969 أجرت الولايات المتحدة ثماني زيارات تفتيشية إلى ديمونا سبع منها تمت بعد أن أجبر الرئيس كينيدي (إسرائيل) على قبول الزيارات المنتظمة في عام 1963، بالنسبة لكينيدي كانت الزيارات ذات قيمة مزدوجة، فهي أداة للرسائل السياسية ووسيلة للوصول إلى الاستخبارات التقنية، واستمر خليفته

الرئيس ليندون جونسون في نفس الجهود. تشمل الإصدارات الجديدة من الأرشيف التقارير الكاملة التي تم رفع السرية عنها للزيارات التي تمت في عامي 1965 و1966، بالإضافة إلى تقرير تمهيدي للزيارة التي جرت في عام 1967 وخلال هذه الفترة التي امتدت لثلاث سنوات حققت (إسرائيل) خطوات نووية هامة، ففي عام 1965 أكملت (إسرائيل) بناء مصنع الفصل تحت الأرض السري للغاية، وفي عام 1966 بدأت في إنتاج البلوتونيوم عالي الجودة للأسلحة وفي عشية حرب 1967 قامت (إسرائيل) بتجميع أولى أجهزتها النووية. ومع ذلك أكدت جميع تقارير الزيارات الأمريكية في تلك الفترة أنه لم يتم العثور على أي دليل مباشر أو غير مباشر على أنشطة تتعلق بالأسلحة النووية، في كل الزيارات الثلاث كان الفريق الأمريكي واثقاً من استنتاجاته.

على الرغم من أن مسألة فصل البلوتونيوم كانت محوراً أساسيًا للقلق، لم يتم العثور على أي دليل على وجود منشآت للفصل أو أي أدلة غير مباشرة - مثل النفايات المشعة أو تكرار إزالة عناصر الوقود من المفاعل - تشير إلى وجود أنشطة إعادة معالجة سرية، ومع ذلك حذر الفريق الأمريكي من أن "في غضون 12-18 شهرًا" قد تقوم (إسرائيل) بتركيب مصنع لفصل البلوتونيوم وتحويل ديمونا من مفاعل بحثي إلى مفاعل مخصص لإنتاج الأسلحة. كان الاستنتاج الرئيس لتقرير 1965 هو أن الفريق خلص إلى أنه رغم أن ديمونا لا تظهر "احتمالية قريبة لبرنامج تطوير الأسلحة"، إلا أن المفاعل "يتمتع بقدرة ممتازة على تطوير وإنتاج البلوتونيوم، مما يستدعي إجراء زيارات متابعة بفواصل زمنية لا تتجاوز عامًا واحدًا".

من الأسئلة المهمة التي أثيرت كانت حول ما الذي كانت تنوي (إسرائيل) فعله بالوقود المستنفد الذي يتم إزالته من قلب المفاعل، أخبر برات الزوار الأمريكيين في 1965 أن الوقود المستنفد ربما يُعاد إلى فرنسا لمعالجته كيميائيًا رغم أنه "أشار إلى أن هذه المسألة لم تُدرس بعد بشكل مفصل"، ولكن تبين لاحقًا أن هذا كان تضليلًا إذ لم تُعد (إسرائيل) الوقود المستنفد إلى فرنسا بل كانت تعيد معالجته في ديمونا كل ستة أشهر.

في تقرير 1966 تناولت رسالة التغطية من لجنة الطاقة الذرية الأمريكية إمكانية الخداع المتعمد من قبل (إسرائيل) بالإضافة إلى احتمال وجود مصنع لإعادة المعالجة مخفي في الموقع أو مفاعل آخر في مكان آخر (بإسرائيل)، واعترف التقرير "بالاحتمالية الضعيفة بأن المفاعل قد تم تشغيله لإنتاج حوالي 3 كيلوغرامات من البلوتونيوم منذ الزيارة الأخيرة في كانون الثاني 1965"، وأوصت الوكالة الأمريكية بالاستخبارات بأن "تواصل مراقبة جميع أنحاء البلاد لتحديد ما إذا كان هناك مصنع أو مصانع مماثلة موجودة أو قيد الإنشاء".

وفي 9 آذار 1967 قدم تقرير من قسم الاستخبارات والبحوث في وزارة الخارجية الأمريكية معلومات صادمة، رغم أن الوثيقة ما زالت محجوبة جزئيًا فقد كشف المذكرة التي كتبها رئيس القسم توماس هيوز أن مصادر في تل أبيب أفادت بأن (إسرائيل) إما تمتلك أو على وشك الانتهاء من بناء مصنع للفصل، وأن هذا المصنع يقع في ديمونا وأن مفاعل ديمونا كان يعمل بكامل طاقته لأغراض إنتاج الأسلحة النووية، وفقًا للتقرير أشار المصدر أيضًا إلى أن (إسرائيل) قد تتمكن من تجميع الأسلحة النووية في غضون ست إلى ثماني أسابيع.

كانت هذه الادعاءات مثيرة بقدر كبير من الدراماتيكية

أولاً: تتناقض بشكل جوهري مع الإجماع الأمريكي حول حالة البرنامج النووي (الإسرائيلي).

ثانيًا: تشير إلى وجود عملية خداع متكاملة في ديمونا تهدف إلى تضليل الفرق الأمريكية الزائرة.

أعرب هيوز عن شكوكه حول ادعاء أن (إسرائيل) قد تكون قادرة على إنتاج سلاح نووي في غضون ست إلى ثماني أسابيع، ولكنه ترك الباب مفتوحًا لاحتمالية أن تكون فرنسا "مستعدة لاختبار جهاز (إسرائيلي) دون نسبته إليها"، أو أن تقوم (إسرائيل) بتجميع وتخزين عدد قليل من الأجهزة غير المختبرة بمفردها، وأوصى هيوز بأن يحاول الفريق الأمريكي التالي التحقق من صحة هذه الادعاءات موصيًا بـ "تنمية" المصادر (الإسرائيلية) للحصول على مزيد من المعلومات.

في أواخر نيسان 1967، وبعد ستة أسابيع من هذه المذكرة زار الفريق الأمريكي ديمونا ولا يُعرف ما إذا كانوا قد علموا بتقرير قسم الاستخبارات والبحوث بوزارة الخارجية الأمريكية، ويبقى تقريرهم الكامل محجوبًا ولكن كانت المخاوف المتعلقة بإعادة المعالجة تسود تفكيرهم. جاءت لغة التقرير التمهيدي لعام 1967 قاطعة حيث لم تترك مجالًا للشك في إمكانية وجود خداع، فيما يتعلق بإعادة المعالجة جاء في التقرير: "لا يوجد مصنع لإعادة معالجة الوقود المستنفد في ديمونا ولا يجري بناؤه حاليًا"، ومع قبولهم لادعاءات (إسرائيل) كما هي أكد الفريق أن ديمونا في طريقها لأن تصبح مركزًا أكاديميًا وتعليميًا معنيًا بتعزيز العلوم والتكنولوجيا، في الواقع تم خداعهم لأنهم لم يدركوا حجم التعقيد في التدابير (الإسرائيلية) لإخفاء العمليات الداخلية لديمونا.

بعد نحو شهر ومع تصاعد أزمة (الشرق الأوسط) في 1967، وضعت (إسرائيل) خطة طوارئ لتفجير جهاز نووي كعرض لقدرتها الجديدة في حال حدوث "السيناريو الأكثر تطرفًا" حيث قد تكون (إسرائيل) في خطر وجودي، لتنفيذ هذه الخطة قامت (إسرائيل) بتجميع جهازين أو ثلاثة أجهزة انكماش نووية لأول مرة، مستخدمة نوى البلوتونيوم التي تم إنتاجها في ديمونا. لم يكن أي شخص خارجي يعلم أو يشتبه في ذلك في الوقت ولم يُكتشف إلا في عام 2017، بعد خمسين عامًا من حرب الأيام الستة، عندما تم نشر شهادة أحد اللاعبين الرئيسيين بعد وفاته. وتظل هناك العديد من الأسئلة المفتوحة بشأن هذا التاريخ: كيف تم خداع علماء أمريكيين محترفين ومدربين بشكل جيد لمدة سنوات؟ متى وكيف اكتشفت الولايات المتحدة الحقيقة؟ وأخيرًا، هل تم خداع جميع أجهزة الحكومة الأمريكية والمسؤولين، أم أن بعضهم قد شعر بالحقيقة ولم يعترف بها؟

تعد (إسرائيل) قوة نووية استثنائية في حين أن جميع القوى النووية الأخرى قد أعلنت عن امتلاكها للأسلحة النووية بشكل علني فإن (إسرائيل) لم تفعل ذلك، وفرت الصفقة السرية الموقعة في عام 1969 بين الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون ورئيسة وزراء (إسرائيل) جولدا مئير غطاءً لهذه السياسة، وأصبح الغموض الدرع الذي يحمي تميز (إسرائيل) النووي ولا تزال (إسرائيل) ترفض تأكيد أو نفي وضعها النووي حتى يومنا هذا.

وما يزال البلدان يفضلان تجاهل هذه الأحداث كما لو أنها لم تحدث على الإطلاق، ومنذ إبرام هذه الصفقة السرية لم يعترف أي رئيس أمريكي بها أو بوجود القنبلة (الإسرائيلية)، ناهيك عن ممارسة الضغط على (إسرائيل) للتوقيع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. ومن المفارقات أن إيران قد تكون الآن تحاكي استراتيجية عدوها التاريخي في الستينيات، من خلال اقترابها من القدرة على امتلاك أسلحة نووية دون اختبار، قد تكون إيران اليوم على مقربة من إنتاج جهاز نووي مشابه تمامًا لما كان عليه الحال مع (إسرائيل) في عام 1967، عندما كانت على بعد أسابيع فقط من امتلاك سلاح نووي.

بينما يعلم العالم بأسره تقريبًا عن إنتاج إيران لليورانيوم المخصب بدرجة عالية، فإن تقدمها في تسليحه ومدى قرب طهران فعليًا من إنتاج جهاز نووي مكتمل لا يزال أمرًا مجهولًا. إن الوثائق التي تم رفع السرية عنها مؤخرًا من الستينيات تظل تذكيرًا قاسيًا بصعوبة الحصول على تقديرات دقيقة بشأن برامج الأسلحة النووية لأي دولة.